

حروف المعاني وأثرها في فهم الالفاظ الدلالية في الخطاب القرآني

– آيات من الذكر الحكيم أنموذجاً –

The letters of meanings and their impact on understanding
semantic signs in Quranic discourse
- Verses from the Holy Quran as a model -

زمام نبيلة¹

جامعة ابن خلدون تيارت

nabila84kha@yahoo.com

تاريخ الوصول 2020/12/26 القبول 2021/04/05 النشر على الخط 2021/09/30

Received 26/12/2020 Accepted 05/04/2021 Published online 30/09/2021

ملخص:

إنّ الهدف من هذه الدراسة هو محاولة التوصل إلى أنّ حروف المعاني لها أهمية كبيرة في فهم الأحكام الشرعية واستنباط الحكم الفقهي من النص القرآني، وهذا النوع من العلوم يحتاج إلى علماء عارفين بأسرار اللغة العربية وخبائرها، ويشترط فيهم معرفة علم النحو والإعراب للوصول إلى الدلالة وفهم المعنى بدقة، ولو أسقطنا هذه الحروف لذهبت ثلاث أرباع مقدرتها على الإفصاح والبيان، فما المقصود بحروف المعاني؟ وإلى أي مدى يمكن لهذه الحروف أن تؤثر في تعدد المعنى في التركيب القرآني؟ وفي الحكم الفقهي؟.

وبعد التطبيق على آيات من الذكر الحكيم وتبع بعض الالفاظ الدلالية تمّ التوصل إلى أنّ سبب التعدد القرائي هو الدلالات المختلفة لحرف المعنى نفسه والذي خرج عن دلالاته الأصلية، وهذا ما يجعل منه بالغ الأهمية في فهم النص القرآني واستنباط الحكم الفقهي.

الكلمات المفتاحية: حروف المعاني – الالفاظ الدلالية – الأثر – الخطاب القرآني

Abstract:

The aim of this study is to try to conclude that the letters of meanings are of great importance in understanding the legal rulings and in deriving the jurisprudential judgment from the Qur'an text. The significance and understanding the meaning precisely, and if we omit these letters, three quarters of their ability to articulate and clarify would have gone, so what is meant by the letters of meanings? And to what extent can these letters affect the multiplicity of meaning in the Quranic composition? And in the jurisprudential judgment?

After applying to verses from the Holy Quran, it was concluded that the reason for the multiplicity of reading is the different connotations of the same letter, which deviated from its original connotations, and this is what makes it extremely important in understanding the Qur'anic text and devising jurisprudential judgment.

Keywords: Letters of meanings - semantic signs - impact - Quranic discourse

1. مقدمة:

تعتبر حروف المعاني من أهم القضايا التي شغلت العلماء (كل حسب مشربه) في دراساتهم مما جعلهم يخصصون لها مصنفات عديدة مستقلة، من بينهم علماء التفسير والدراسات القرآنية، فكان تفسيرهم لآيات الذكر الحكيم يحتاج إلى معرفة معاني هذه الحروف، فجعلوها من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر، يقول السيوطي (ت: 911هـ): «واعلم أنّ معرفة ذلك من المهمات المطلوبة باختلاف مواقعها ولهذا يختلف الكلام والاستنباط بحسبها»⁽¹⁾؛ ولأنّ «القواعد التي يحتاج إليها المفسر في فهم القرآن ترتكز على قواعد العربية، وفهم أسسها وتذوق أسلوبها، وإدراك أسرارها»⁽²⁾، أولاها علماء أصول الفقه عناية خاصة لحاجة الفقيه إليها، لأنّ معظم المسائل الفقهية يتوقف فهمها على فهم الدلالة التي يؤديها الحرف في النص القرآني وعليه: ما المقصود بحروف المعاني؟ وإلى أي مدى يمكن لهذه الحروف أن تؤثر في تعدّد المعنى في التركيب القرآني؟ وهل لها أثر في اختلاف الأحكام الفقهية؟

وهذه الدراسة التحليلية تهدف إلى تتبع تلك اللافئات الدلالية المتعددة لحروف المعاني، وتحديد المعنى الذي يمكن قارئ الخطاب القرآني من فهم الحكم المراد في الخطاب، ومن أجل ذلك انتهجت المنهج التحليلي قصد تتبع المعاني المختلفة.

2. حروف المعاني :

سميت بهذه التسمية لعلاقتها بفهم المعاني وتحديد الدلالة، فهي تُوصل معاني الأفعال إلى الأسماء فيعرفها الزجاجة (ت: 337هـ) فيقول: «وأما حروف المعاني وهو الذي يلتمسه النحويون، فهو أن يقال الحرف ما دلّ على معنى في غيره»⁽³⁾ وهذا ما يميّزها عن حروف التهجي. وبالتالي هذه الحروف: «هي التي تدلّ على معانٍ جزئية وضعت لها أو استعملت فيها، فهي تربط بين جزأين، ولها أيضا معانٍ تبعية، فلا تستقل بالمعقولة، ولا تكون ركناً في الكلام إلّا مع ضمنية، وسميت حروف المعاني؛ لأنّها موضوعة لمعانٍ تتميز بها من حروف المباني، والمراد بالحروف هنا ما يحتاج الفقيه إلى معرفته من معاني الألفاظ المفردة، ومنها الحروف، ومن أجل تفريع الأحكام واختلافها تبعاً لاختلاف دلالة الحرف في لسان العرب، وليس الحروف التي هي قسيمة الأفعال والأسماء»⁽⁴⁾؛ بالتالي فالخطاب تتغير فوائده بالحروف الداخلة عليه. ويعرفها صاحب كتاب الوجيز في أصول الفقه الإسلامي فيقول: «وهي التي وضعت لمعانٍ تتميز بها عن حروف المباني، وهذه الحروف لا تدلّ على معنى في ذاتها، بل تدلّ على معنى في غيرها، كحرف العطف وحرف الجر»⁽⁵⁾، من خلال هذا التعريف نستنتج أنّ الحروف تدلّ على معنى في غيرها لا في ذاتها.

1.2 أقسام حروف المعاني:

¹ - جلال الدين السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، تح: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد للطباعة، المملكة العربية السعودية، د. ط، د. ت، ج 3/ 1004 .

² - مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط 11، (1421هـ/2000م)، ص 185.

³ - أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تح: مازن المبارك، دار التفائس، بيروت، لبنان، ط 3، (1399هـ/1979م)، ص 54 .

⁴ - عبد الوهاب عبد السلام طويلة، أثر اللغة في اختلاف المجتهدين، دار السلام، مصر، القاهرة، ط 2، (1420هـ/2000م)، ص 193.

⁵ - محمد مصطفى الزحيلي، الوجيز في أصول الفقه الإسلامي: الدلالات - الاجتهاد والتقليد والفتوى - التعارض والترجيح، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - بيروت، ط 2، (1427هـ/2006م)، ج 171/2

تعددت تقسيمات حروف المعاني حسب علماء اللغة العربية وخاصة علماء النحو إلى عدة أقسام فصنّفوا هذه الأخيرة حسب العمل، حسب العدد، حسب حركة البناء والهيئة، حسب الاختصاص، وحسب الوظيفة التي تؤديها في الكلام. فممن قسّمها حسب العمل نجد جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ) قد ذكر هذا في كتابه الأشباه والنظائر فقسّمها إلى حروف عاملة، وحروف غير عاملة⁽¹⁾، وكذلك الحسن المرادي هو الآخر قد تحدّث عن هذا التقسيم وقد أورده في باب بيان عمل الحروف فقال: «أنّ الحرف قسمان عامل وغير عامل، فالعامل هو ما أثر فيما دخل عليه رفعاً أو نصباً أو جرّاً أو جزماً، وغير العامل بخلافه ويسمّى المهمل»⁽²⁾. وأمّا تقسيمها حسب الاختصاص فقد قسّمت إلى ثلاثة أقسام: قسم مختص بالاسم وقسم مختص بالفعل وقسم مشترك بين الاسم والفعل⁽³⁾.

وأما من حيث الهيئة والبنية فقد قسّمت إلى خمسة أقسام: أحادية مكوّنة من حرف واحد مثل: الباء والكاف - ثنائية مكوّنة من حرفين مثل: قد، هل، بل - ثلاثية مكوّنة من ثلاثة أحرف مثل: على، إلى - رباعية مكوّنة من أربعة أحرف مثل: كأنّ، لعل - خماسية مكوّنة من خمسة أحرف مثل: لكنّ⁽⁴⁾.

أما من حيث العدد فنجد أنّ العلماء قد اختلفوا في ذلك كل حسب منظوره، فقليل ثلاثة وسبعون حرفاً، وزيد على ذلك حروف أخرى مختلف في حرفية أكثرها، وذكر بعضهم نيفاً وتسعين حرفاً. وقد تزيد عن ذلك لترتقي عن المئة⁽⁵⁾.

2.2 دور حروف المعاني:

إنّ لحروف المعاني دوراً مهماً في الكلام، فهي تقوم بربط أجزاء الجمل ببعضها وتساهم في تحديد الدلالة من الكلام المقصود، فنجد محمد حسن الشريف يوضح هذا الدور في كتابه معجم حروف المعاني في القرآن الكريم فيقول: «تقوم حروف المعاني بدور أساسي في الكلام، ويمكن القول إنّ لها وظيفتين أساسيتين الأولى: وظيفة نحوية؛ وهي تحقيق الترابط بين مكوّنات الجملة أو الكلام، سواء كانت عاملة أو غير عاملة، والثانية: وظيفة دلالية معنوية؛ وهي المساهمة في تحديد دلالة السياق»⁽⁶⁾؛ أي تقوم بدور مهم في بنية الكلمة من جهة الدلالة الدلالة على المعنى، ومن يوضح هذا المعنى السياق الذي وضعت فيه.

3. أثر حروف المعاني في تعدّد المعنى في التركيب القرآني:

لقد عني علماء اللغة بما فيهم المفسّرون بدراسة علم الحروف، بمختلف جوانبه من خلال تعدّد معانيه خاصّة في النصوص القرآنية، وهي معاني يستمدّها الحرف ضمن تأديته لوظيفة الرّبط بين الجمل، والتي تعدّ جانباً مهماً من جوانب دراسة التركيب، حيث يستحيل استقامة الكلام في غياب حسن الرّبط بين المعاني.

¹ - ينظر: جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، د.ط، ج2/19.

² - الحسن بن القاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة - محمد نديم فاضل، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ط 1، (1413هـ/1992م)، ص 27.

³ - ينظر: المرجع نفسه: الحسن بن القاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص 25.

⁴ - ينظر: محمد حماسة عبد اللطيف، مصطفى النحاس زهران، النحو الأساسي أحمد مختار عمر، دار الفكر العربي، القاهرة، (1417هـ/1997م)، ص 201.

⁵ - ينظر: الحسن بن القاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص 28-29.

⁶ - محمّد حسن الشريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط1، (1417هـ/1996م)، حرف الشين.

ولحروف المعاني أثر كبير في تعدد المعنى حيث: « إذا دلّ الحرف على معنى في غيره يسمّى حرف المعنى وهو ما أطلقه التّحويون على هذه الحروف، ولها صلة وطيدة بفهم المعاني واستنباط الأحكام من نصوص القرآن الكريم، بطريق الاجتهاد أو التأويل؛ لأنّ كثيراً من القضايا الدّلالية والمسائل الفقهيّة يتوقّف فهمها على فهم الدّلالة التي يؤديها الحرف في النصّ، وسمّيت حروف معاني لهذا الغرض، لأنّها تصل معاني الأفعال إلى الأسماء أو لدلالاتها على معنى، وقد اختلف النّحاة وعلماء الأصول وعلماء الكلام في وظائف هذه الحروف كقواعد نحوية ودلالات لغوية على الأحكام الفقهيّة والعقائديّة، وهي تعامل معاملة اللفظ في الجملة من حيث الدّلالة فمنها ما يكون مستعملاً في الحقيقة ومنها ما يكون مستعملاً في المجاز وغيره»⁽¹⁾.

ولمعرفة هذه المعاني المتعدّدة كان علينا أن نقوم بدراستها من خلال النصّ القرآني لأنّه أكثر النّصوص اشتمالاً على تلك المعاني. وما إختياري لحروف الجرّ إلّا على سبيل المثال لا الحصر، فقد تعدّدت تعريفات حروف الجرّ عند النّحاة القدامى، وكانت هذه التعريفات مشتركة بينهم في أغلب الأحيان، فسماها البصريّون بحروف الإضافة، وسماها الكوفيّون بحروف الصّفات، واشتهرت في كتب التّحوي باسم حروف الجرّ، أمّا تَمَام حَسَن فسماها بحروف النّسبة لأنّها تقوم بإيجاد علاقة نسبيّة بين المجرور وبين معنى الحدث في علاقة الإسناد⁽²⁾.

وسبب تسميتها بحروف الجرّ مرتبط بوظيفتها المتمثّلة في جرّ الأفعال إلى الأسماء، لأنّ: «حروف الجرّ إمّا وضعت في الكلام لتجرّ معاني الأفعال إلى الأسماء، نحو: ذهب إلى زيد، وجئت من عند عمرو، فإلى جرت معنى ذهابك إلى زيد، بمعنى أنّها أفادت أنّ ذهابك كان نحوه وأنت متوجّه شطره و(من) جرّت معنى ذهابك إلى عمرو، بمعنى أنّها أفادت أنّ مجيئك كان جهته منصرفاً إلى غيرها، ولأجل ذلك سمّيت حروف الجرّ»⁽³⁾.

وكما هو معروف أنّ لحروف الجرّ عدّة دلالات تمثّلت في الإلصاق والتّعدية والتّبعيض والمصاحبة وغيرها، وفيما يلي تمثيل لبعض هذه الدّلالات من الذكر الحكيم.

أ - معنى الإلصاق:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾⁽⁴⁾، وقوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾⁽⁵⁾، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَهَٰؤُلَآئِكَ يَجْذَعُ النَّحْلُ تَسَاقُطُ عَلَيْكَ رُطْبًا خَمِيًّا﴾⁽⁶⁾، فدلالة حرف الباء في هذه المواضع الإلصاق، فيقول ابن منظور (ت: 711هـ) في هذا الجانب: « والباء من عوامل الجرّ وتختصّ بالدخول على الأسماء وهي إلصاق الفعل بالمفعول به، تقول: مرّرتُ بزيد

¹ - عرابي أحمد، أثر حروف المعاني في تعدّد المعنى، مجلة التّراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتّحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد 89، 2003م، ص 01.

² - ينظر: ميلود منصوري، السّمات الدّلالية لحروف الجرّ، مؤسّسة الطباعة لولاية مستغانم، د.ط، 1998م، ص 22.

³ - نجم الدّين بن سعيد الطوفي، مختصر شرح التّروضة، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، توزيع وزارة الشّؤون الدّينية والأوقاف والدّعوة والإرشاد، المملكة العربيّة السّعودية، ط2، (1419هـ/1998م)، ج 1/140.

⁴ - المطففين - 30.

⁵ - الروم - 34.

⁶ - مريم - 25.

كَأَنَّكَ أَلْصَقْتَ الْمُرُورَ بِهِ»⁽¹⁾، فالإلصاق هو المعنى الأصلي للباء عند القدماء، وهو المعنى الغالب عليها، إذن فالباء: «حرف هجاء من حروف المعجم وأكثر ما ترد بمعنى الإلصاق لما ذكر قبلها من اسم أو فعل بما انضمت إليه»⁽²⁾.

ب- معنى التبعض:

قال تعالى: ﴿... فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾⁽³⁾

اختلف العلماء في وجوب توصيل التراب إلى أعضاء التيمم، فرأى أبو حنيفة (ت: 150هـ) ومالك (ت: 179هـ) أن توصيل التراب إلى أعضاء التيمم ليس واجباً، أما الشافعي (ت: 204هـ) فنأى بوجوبه وسبب الاختلاف في ذلك الاشتراك الذي في حرف الجر (من)، فمن معانيها التبعض وتمييز الجنس، فمن ذهب إلى أنها هاهنا للتبعض، أوجب نقل التراب إلى أعضاء التيمم، ومن رأى أنها لتمييز الجنس قال: ليس النقل واجباً، والشافعي يدعم رأيه بجهة قياس التيمم على الوضوء.⁽⁴⁾

ج- انتهاء الغاية:

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾⁽⁵⁾، وقوله تعالى: ﴿اقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾⁽⁶⁾.

في هذا الموضع من الآيتين جاء حرف الجر (إلى) بمعنى انتهاء الغاية، ففي الآية الأولى نوع الغاية فيها (غاية مكانية) نلاحظ من خلالها أن الإسراء يبتدئ بمكان المسجد الحرام وينتهي بالمسجد الأقصى، وهذا يظهر جلياً في كتاب موسوعة النحو والصرف والإعراب لإميل بديع يعقوب حينما تحدث عن معناها وقال: "أنها لانتهاء الغاية" وإعطاءه مثلاً من القرآن الكريم⁽⁷⁾؛ وأما الآية الثانية فنجد نوع الغاية فيها "غاية زمانية".

قال تعالى: ﴿...وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾⁽⁸⁾، من خلال هذه الآية يتضح لنا لنا أن الصيام مرتبط بمدة زمنية محددة، يبتدئ من الفجر وينتهي إلى الليل، أي بمجرد رفع آذان صلاة المغرب يفطر الصائم، وبالتالي نوع الغاية في هذه الآية "غاية زمانية".

د- معنى المصاحبة:

1 - ابن منظور، لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، (1434هـ/2013م)، مج 1/ 308.

2 - المصدر نفسه: ابن منظور، لسان العرب، مج 1/ 307.

3 - المائة - 06.

4 - ينظر: محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الحفيد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تح: محمد صبحي حسن حلاق، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، توزيع مكتبة العلم

بجدة، الرياض، ط 1، 1415هـ، ج 1/ 178.

5 - الإسراء - 01.

6 - الإسراء - 78.

7 - إميل بديع يعقوب، موسوعة النحو والصرف والإعراب، دار العلم للملايين، د. ط، د. ت، ص 134.

8 - البقرة، - 187.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾⁽¹⁾.

ففي هذه الآية يتضح لنا أنّ حرف الجر (إلى) جاء للمصاحبة، أي بمعنى (مع)، ونجد حسن المرادي (ت: 749هـ) قد تحدّث عن هذا الجانب في كتابه الجنى الداني فقال: أنّ لها ثمانية معانٍ من بينها المصاحبة وقد ترد بمعنى (مع)، فقام بشرح معناها فقال أي (مع الله)، وهذا راجع إلى حقيقة تضمينك شيئاً إلى شيءٍ، ونجد ابن عصفور (ت: 669هـ) قد نقل هذا عن الكوفيّين وعن كثير من البصريّين في قضية تضمين العامل وإبقاء الحرف على أصله، والمقصود من الآية من يضيف نصرته إلى نصرته الله و(إلى) في هذا الموضع أبلغ من (مع) في المعنى⁽²⁾.

4. أثر حروف المعاني في اختلاف الأحكام الفقهيّة:

إنّ لحروف المعاني دوراً هاماً في استنباط الأحكام الفقهيّة من القرآن الكريم ومن بين هذه المسائل التي يتم استنباط الحكم منها نجد:

1.4 مسألة الزكاة:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾⁽³⁾.

من النصوص القرآنيّة التي أثارت الجدل بين العلماء النص الذي يحتوي على مسألة الزكاة، فهذه الآية القرآنيّة تحتوي على حرف العطف (الواو) الذي خلق جديداً كبيراً بينهم، إنّ كان حرفاً مطلقاً لجمع أو له معنى آخر؟ وهل نصاب الزكاة متساوي المقدار بين هذه الأصناف الثمانية أم لا؟.

إنّ الملاحظ لهذه الآية يفهم من خلالها أنّ الزكاة واجبة في أصنافٍ محدّدة ذكرها المولى عزّ وجلّ وهي محصورة في ثمانية أصناف: الفقراء، والمساكين، والعاملين عليها، والمؤلفة قلوبهم، وفي الرقاب والغارمين، وفي سبيل الله، وابن السبيل، والمذهب المالكي يرى أنّ: تفريقها في هؤلاء الأصناف عائد إلى إجتهد الإمام، فله أن يجعلها في بعض دون بعض⁽⁴⁾، أي: «لا يجب تعميم الأصناف الثمانية في الإعطاء، بل يجوز دفعها، ولو لواحد من صنف واحد إلّا العامل، فلا يجوز دفعها كلّها إليه إذا كانت زائدة على أجره عمله»⁽⁵⁾، أي يجوز صرفها على أي صنف من الأصناف الثمانية إلّا العامل فلا يجوز دفعها كاملة إليه إذا تجاوز مبلغ الزكاة المبلغ الذي يتقاضاه عن عمله.

وفي السياق نفسه نجد الحنابلة قد تحدّثوا عن مسألة الزكاة والأصناف التي تستفيد منها ويفصلون فيها تفصيلاً، ويجوزون الدفع لواحد من هذه الأصناف الثمانية⁽⁶⁾.

و وافقهم الحنفية في ذلك⁽¹⁾ أي أنّه يجوز صرفها للمساكين أو العامل أو المؤلفة قلوبهم أو في الرقاب أو الغارمين أو ابن السبيل.

¹ - آل عمران-52.

² - ينظر: الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص 385 - 386.

³ - التوبة-60.

⁴ - ينظر: أبو القاسم ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل، ضبط: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ط1، (1415هـ/1995م)،

مج1/361.

⁵ - ينظر: عبد الرحمن الجزيري، الفقه على المذاهب الأربعة، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ط2، (1424هـ/2003م)، ج1/565.

⁶ - ينظر: المرجع نفسه، الفقه على المذاهب الأربعة، ج1/565.

أما الشافعي فيرى أن تقسم على جميع هذه الأصناف بالتساوي، وحقته في ذلك: «أنه تعالى إنما أثبت الصدقات لهؤلاء الأصناف دفعاً لحاجتهم وتحصيلاً لمصلحتهم، وهذا يدل على أن الذي وقع الابتداء بذكره يكون أشد حاجة، لأن الظاهر وجوب تقديم الأهم على المهم،... فلما وقع الابتداء بذكر الفقراء وجب أن تكون حاجتهم أشد من حاجة المساكين»⁽²⁾.

وعليه فإن صرف الزكاة يجوز لواحد من تلك الأصناف، باتفاق المالكية والحنابلة وتكون الواو هنا بمعنى (أو). أو تصرف للأصناف الثمانية مع وجوب تقديم الأهم على المهم، وهذا ما خالف به الشافعية بقبول المذاهب، وهنا (الواو) تفيد العطف والترتيب.

2.4 مسألة النكاح: قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾⁽³⁾.

ومن المسائل الفقهية التي يقع فيها الجدل أيضا آية النكاح، ففي هذه الآية نستطيع استخلاص عدة أحكام من بينها: أ- إباحة الزواج ، ب- إباحة تعدد الزوجات ، ج- وجوب الاقتصار على زوجة واحدة إذا خيف عدم العدل عند التعدد، ولأن نص الآية يحتوي على حرف من حروف المعاني والمتمثل في حرف العطف (الواو) كان علينا أن نقف على هذه المسألة لأنها أثارت كثيراً من الجدل في دلالتها، فهل هو حرف عطف لمطلق الجمع أم للتخيير والفصل؟.

من بين هؤلاء العلماء الذين تحدّثوا في هذه المسألة الفقهية نجد ابن كثير (ت: 774هـ) قد فصل فيها فيقول: لا يجوز الجمع بين أكثر من أربع نسوة، فلو جاز ذلك لما أمر الرسول □ "غيلان بن سلمة الثقفي" أن يختار أربع من أصل عشرة نسوة كانت في ذمته عندما أسلم، فوجه الدلالة في هذا القول أنه لو كان يجوز الجمع بين أكثر من أربع لسوّغ له رسول الله □ سائرهن في بقاء العشرة وقد أسلمن معه، فلما أمره بإمساك أربع وفاق سائرهن دلّ على أنه لا يجوز الجمع بين أكثر من أربع بحال، وإذا كان هذا في الدوام⁽⁴⁾؛ إذن في هذه الحالة جاء حرف العطف الواو للتخيير والفصل.

أما أهل الشيعة فجوّزوا نكاح تسع نسوة؛ لأنهم جعلوا (الواو) في هذا الموضع للجمع، وتمسك بهذا الظاهر بعض أهل الظاهر⁽⁵⁾، إلا أن هذا غير صحيح ودليل ذلك قول الرسول □ لغيلان بن سلمة عندما أسلم. وكما هو معروف أن «الحال لا يتعدّد مع واو العطف الموضوعة للجمع، وإنما يتعدّد بدوئها، ومتى دخلت الواو على الأحوال المتعددة، كان من باب النعت، كقوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾⁽⁶⁾، والنعت غير متصوّر هاهنا، فتعيّن حينئذٍ مجيء الواو للتخيير»⁽⁷⁾.

¹ - ينظر: عبد الرحمن الجزيري، الفقه على المذاهب الأربعة، ج 1/ 563.

² - محمد فخر الدين الرازي، تفسير الفخر الرازي (التفسير الكبير ومفاتيح الغيب)، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط 1، (1401هـ/1981م)، ج 16/ 109-110.

³ - النساء-3

⁴ - ينظر: ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، دار بن حزم، بيروت - لبنان، ط 1، (1420هـ/2000م)، ج 2/ 211.

⁵ - ينظر: الإمام الموزعي محمد بن علي بن عبد الله بن إبراهيم بن الخطيب اليميني الشافعي، تيسير البيان لأحكام القرآن، بغناية: عبد المعين الحرش، دار النوادر، سوريا- لبنان- الكويت، ط 1، (1433هـ/2012م)، مج 2/ 222.

⁶ - آل عمران- 39.

⁷ - الإمام الموزعي محمد بن علي بن عبد الله بن إبراهيم بن الخطيب اليميني الشافعي، تيسير البيان لأحكام القرآن، مج 2/ 223.

3.4 مسألة الوضوء:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾⁽¹⁾.

تبين هذه الآية فرائض الوضوء، وقد اختلف في تفسيرها ثلثة من الفقهاء والمفسرين، ونقف عند قوله تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾، فدخل المرافق في الحكم أو خروجها منه إنما يتوقف على القرائن والسياق. فنجد الجمهور ومالك والشافعي وأبو حنيفة قد أوجبوا إدخالها، وذهب أهل الظاهر وبعض متأخري المالكية والطبري إلى أنه لا يجب إدخالها في الحكم.⁽²⁾ والسبب في هذا الاختلاف هو حرف الجر (إلى) هل هو للغاية؟ أم يتضمن معنى الحرف (مع)؟ وكذلك اليد في كلام العرب تطلق على الكف فقط، أو على الكف والذراع والعضد؟.

إن جمهور أهل العلم قالوا يجب إدخال المرفقين في الغسل، فجعلوا معنى (إلى) بمعنى (مع)، وذلك شائع في اللسان جائز عند كافة الكوفيين وبعض البصريين⁽³⁾؛ أما البعض الآخر من أهل البصرة ذهبوا إلى أصل وضعها فقالوا: « (إلى) هاهنا للإخراج لا للإدخال؛ لأن اسم اليد يُطلق على العضو إلى المنكب، فلو لم ترد هذه الغاية لوجب غسل اليد إلى المنكب، فلما دخلت (إلى) أخرجت عن الغسل ما زاد على المرفقين، فانتفى الإخراج إلى المرفقين فكأنه قال: واغسلوا أيديكم، وتركوا من المناكب إلى المرافق»⁽⁴⁾.

فمن جعل (إلى) بمعنى (مع)، أو فهم من اليد مجموع الثلاثة أعضاء أوجب دخولها في الغسل، ومن فهم من (إلى) الغاية، ومن اليد ما دون المرفق ولم يكن الحد عنده داخلاً في المحدود لم يدخلهما في الغسل⁽⁵⁾؛ بالتالي اختلاف معنى حرف الجر (إلى) أدى إلى اختلاف الحكم. من الملاحظ في قوله تعالى: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ...﴾ أن حرف الباء هو الآخر قد أثار الجدل بين الفقهاء في هذا الموضع، فقيل أنها: «لإلصاق، وقيل للتبعيض، وقيل زائدة، وقيل للاستعانة، وإن في الكلام حذفاً وقلباً، فإن (مسح) يتعدى إلى المزال عنه بنفسه، وإلى المزيل بالماء، فالأصل: امسحوا رؤوسكم بالماء»⁽⁶⁾.

ونجد شهاب الدين القيرافي (ت: 684هـ) هو الآخر قد تحدّث عن هذه المسألة موضعاً لنا دلالة حرف (الباء) فقال: «والقائلون بالتبعيض اشتروا أن تكون مع فعل يتعدى بنفسه، حتى لا تكون للتعدية وزعموا أن من ذلك قوله تعالى: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ

1 - المائدة - 06.

2 - ينظر: محمد بن أحمد بن محمد بن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تح: محمد صبحي حسن حلاق، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، توزيع مكتبة العلم بجدة، الرياض، ط1، 1415هـ، ج1/41.

3 - ينظر: الإمام الموزعي محمد بن علي بن عبد الله بن إبراهيم بن الخطيب اليمني الشافعي، تيسير البيان لأحكام القرآن، مج3/102.

4 - المرجع نفسه، الإمام الموزعي، تيسير البيان لأحكام القرآن، مج3/103.

5 - ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تح: محمد حلاق، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط1-1415هـ، ج1/42.

6 - جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص1085.

...﴿ فَإِنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ مَسَحَتْ رَأْسِي وَمَسَحَتْ بِرَأْسِي، فَلَمْ يَبْقَ فَرْقٌ إِلَّا التَّبْعِيضُ ﴾⁽¹⁾ والمقصود بمسح الرأس هنا وجوب نقل رطوبة أيدينا لرؤوسنا وجميع أعضاء الوضوء⁽²⁾.

4. خاتمة:

وبعد هذه الجولة مع الآيات القرآنية ودراسات العلماء تم الوصول إلى النتائج التالية:

- 1 - حروف المعاني تدل على معنى في غيرها لا في ذاتها، بحيث تتحدد دلالتها عن طريق التركيب فهي لا تستقل بالمعنى لوحدها.
- 2 - إن القرآن الكريم بجمال اللفظ وتنسيق في المعنى وبراعة في التصوير جعل منه أسلوباً معجزاً.
- 3 - الخطاب القرآني قول مكتمل الدلالة بكل مكوناته، وهذه المكونات تفتح المجال أمام القراءة الواعية للتحليل والتأويل.
- 4 - إنَّ للسياق والقارئ سواء كانت لفظية أو معنوية دور كبير في كشف دلالات هذه الحروف وأسرارها.
- 5 - التعدد القرائي له دور كبير ومهم في كشف وتنوع دلالات حروف المعاني.
- 6 - لحروف المعاني دور بارز ومهم جداً في إبراز الأحكام المستنبطة من النص القرآني.
- 7 - قد تخرج بعض الحروف عن دلالتها لتأخذ معانٍ أخرى تبعاً للسياق القرآني الذي ترد فيه وهذا ما بينه المفسرون بالحجة والدليل.

5. قائمة المراجع:

1. ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تحقيق محمد حلاق، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة: 1415هـ ، ج1
2. ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، دار بن حزم، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، سنة: 1420هـ / 2000م، ج 2
3. ابن منظور، لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، سنة: 1434هـ / 2013م، مج 1/ 308 .
4. أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك، دار التفائس، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، سنة: 1399هـ / 1979م.
5. أبو القاسم ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ضبط محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، سنة: 1415هـ / 1995م، المجلد الأول.
6. الإمام الموزعي محمد بن علي بن عبد الله بن إبراهيم بن الخطيب اليمني الشافعي، تيسير البيان لأحكام القرآن، بعناية عبد المعين الحرش، دار النوادر، سوريا - لبنان - الكويت، الطبعة الأولى، سنة: 1433هـ / 2012م، المجلد الثاني، المجلد الثالث.
7. إميل بديع يعقوب، موسوعة النحو والصرف والإعراب، دار العلم للملايين، بدون طبعة، بدون تاريخ.

¹ - شهاب الدين القيرافي، شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول، دار الفكر، بيروت - لبنان، (1424هـ / 2004م)، ص 88.

² - ينظر: المصدر نفسه، شهاب الدين القيرافي، شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول، ص 88.

8. جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد للطباعة، المملكة العربية السعودية، بدون طبعة، بدون تاريخ، الجزء الثالث.
9. جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، بدون طبعة، الجزء الثاني.
10. الحسن بن القاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة - محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، سنة: 1413هـ/1992م.
11. شهاب الدين القيرافي، شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول، دار الفكر، بيروت - لبنان، سنة: 1424هـ/2004م.
12. عبد الرحمان الجزيري، الفقه على المذاهب الأربعة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، سنة: 1424هـ/2003م، الجزء الأول.
13. عبد الوهاب عبد السلام طويلة، أثر اللغة في اختلاف المجتهدين، دار السلام، مصر - القاهرة، الطبعة الثانية، سنة: 1420هـ/2000م.
14. مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة وهبة، القاهرة - مصر، الطبعة الحادية عشر، سنة: 1421هـ/2000م.
15. محمد بن أحمد بن محمد بن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تحقيق محمد صبحي حسن حلاق، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، توزيع مكتبة العلم بجدّة، الرياض، الطبعة الأولى، سنة: 1415هـ، الجزء الأول.
16. محمد حسن الشريف، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، سنة: 1417هـ/1996م، حرف الشين.
17. محمد حماسة عبد اللطيف، مصطفى التّحاس زهران، النحو الأساسي أحمد مختار عمر، دار الفكر العربي، القاهرة، سنة: 1417هـ/1997م.
18. محمد فخر الدين الرازي، تفسير الفخر الرازي (التفسير الكبير ومفاتيح الغيب)، دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، سنة: 1401هـ/1981م، الجزء 16.
19. محمد مصطفى الزحيلي، الوجيز في أصول الفقه الإسلامي: الدلالات - الاجتهاد والتقليد والفتوى - التعارض والترجيح، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - بيروت، الطبعة الثانية، سنة: 1427هـ/2006م، الجزء الثاني.
20. ميلود منصوري، السمات الدلالية لحروف الجر، مؤسسة الطباعة لولاية مستغانم، بدون طبعة، سنة: 1998 م.
21. نجم الدين بن سعيد الطوفي، مختصر شرح الرّوضة، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، توزيع وزارة الشؤون الدينية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، سنة: 1419هـ/1998م، الجزء الأول.

● المقالات:

- عراي أحمد، أثر حروف المعاني في تعدّد المعنى، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد: 89، سنة: 2003م.